الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص. ب ١٠٨٥ — تلفون ٢٤٥٠٢

AL-ADAB *REVUE MENSUELLE CULTURELLE*
BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085
Tél. 24502

أصحاب الامتياز
منير البعلبكي - سهيل ادريس - بهيج عثمان

المدير المسؤول : بهيج عثمان
رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRISS
Directeur : BAHIJ OSMAN

العدد الثامن

آب (اغسطس) ١٩٥٥

السنة الثالثة

No. 8 - Août 1955

3ème Année

قصصنا القومي

بقلم : الدكتور سهيل ادريس

ليس من اليسير ان يستخلص الباحث او المؤرخ او الناقد الادبي نزعة واحدة تسم نتاج امة من الامم بحيث تصبح طابعاً خاصاً بها؛ ونحن نلاقي هذه الصعوبة ، بصورة خاصة ، حين نحاول ان ندل على النزعة القومية في ادبنا العربي الحديث ، تلك النزعة التي تتكون من انصهار خصائص متميزة تستمد عناصرها من التقاليد والتربية واللغة والارض والتاريخ ، وتطبع امتنا العربيه بطابع خاص في الفكر والحياة .

والواقع أن من يريد ان يستخلص مثل هذه النزعة القومية في ادب من الآداب ، ان يلتمس « مزاجاً » مشتركاً بين آثار ادباء معينين يغذون بنتاجهم هذا الادب ، وان يثبت بعد ذلك ان هذا المزاج يتفاوت في الواقع بين الجماعات القومية . ان ذلك يقتضينا ، في الآداب العربية المعاصرة مثلاً ، ان نحلل الآثار اللبنانية والسورية والمصرية والعراقية والمغربية الخ ... وان نستخلص منها الخطوط المشتركة بين ادباء كل قطر ، سواء كانوا مؤلفين مسرحيين او قصاصين او دارسين او شعراء ؛ ولا بد لنا من ان نتحقق بعد ذلك ان الخصائص القومية الملاحظة في هذه النتاجات ، لنقل في النتاج اللبناني مثلاً ، تختلف بالاجمال اختلافاً كثيراً او قليلاً عن الخصائص الملاحظة في النتاج المصري او العراقي او السوري .

تلك هي مبدئياً الطرائق العلمية التي ينبغي لنا ان نتبعها في محاولة درس هذه النزعة . ولكننا نحسبنا في غير ما حاجة اليها ، حين ننظر فنرى ان القدر التاريخي والاجتماعي والفكري الذي عاشته البلاد العربية يكاد يكون قدراً واحداً مشتركاً يشد هذه البلاد فيما بينها برابطة واحدة ويوجهها نحو مصير واحد .

فلقد كان تيقظ الحس الوطني والقومي في مختلف طبقات الشعوب العربية هو الدعامة الرئيسية للنهضة الحديثة التي بدأت طلائعها في اواخر القرن الماضي ، والتي ما زالت تنمو وتشمل كل يوم مرفقاً جديداً من مرافق الحياة العربية في جميع اجزاء الوطن الكبير .

وكان طبيعياً ان تجد يقظة هذا الحس تعبيرها في الادب العربي الحديث ، فاذا بالشعراء والروائيين والقصاصين والدارسين ينتجون آثاراً تعبر عن نزعة قومية فتية ، ان لم تكن قد استكملت جميع مقوماتها في العقود الاولى من هذا القرن العشرين ، فانها الآن بسبيل ذلك . والواقع ان ادبنا الحديث الذي بدأ بتسجيل هذه الظاهرة والتعبير عنها ، ما لبث ان أمدها بنسغ جديد زادها قوة وتماسكاً ، فهو الان يؤثر فيها بقدر ما تأثر بها ، وبذلك يكتسب طابعاً حياتياً لا بد ان تكون له قيمة خاصة في تاريخ ادبنا الحديث .

ومقصدنا من هذه الدراسة التخطيطية القصيرة للنزعة القومية في قصصنا العربي الحديث ان نوجه النظر الى أهمية تأثير الاوضاع التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تجتازها بلادنا — في نتاجنا القصصي ، ثم أهمية هذا النتاج في رد هذا التأثير الى تلك الاوضاع . وسوف يسع مؤرخي الادب

وعلماء الاجتماع ، بعد ذلك ، ان يقيّموا هذا النتاج الادبي في الميزان الحضاري للامة العربية في وثبتها الجديدة .

***

شاركت القصة العربية ، بمختلف انواعها ، في التعبير عن هذه النزعة القومية التي سرت في دم الجسم العربي . ونكاد لا نعرف اديباً واحداً مارس كتابة القصة الا وكان لهذه النزعة من آثاره نصيب . ولعل اهم لون من الوان القصة التي عبرت عن هذا الاتجاه الرواية التاريخية . والحق ان كل عربي كان يشعر بحاجة ملحة الى ان يجد من تاريخه القديم مرتكزاً يعزز به نزعته القومية الجديدة لخلق عالم عربي افضل من الذي يعيش فيه . وبقدر ما كانت الاحوال تسوء والنكبات تتوالى كان هذا العربي يحرص على ان يستمد من ماضيه فكرة وصورة تمكنانه من التنبؤ بالمستقبل ومن مواجهته بثقة ، فهو يريد ان يتعظ وان يقارن وان يتعزى من المصائب التي كانت تحل به ، ومن الذل الحاضر الذي يلحقه ، باستدعاء عظمة الماضي وامجاده . انه كان يطلب من الاموات ان يعيدوا له ايمانه بنفسه وعزته .

ولم يقصر الروائيون في الاستجابة لهذه الحاجة . فقدوعوا انهم اذ يفعلون ذلك ، انما يقدمون للشعوب العربية التي كانت تستيقظ من سباتها ما يدفعها لاستعادة ماضيها المجيد . ولقد حاول هذه المحاولة عدد كبير من الروائيين التاريخيين كان من اوائلهم سليم البستاني وجميل المدور وفرح انطون وفؤاد افرام البستاني في لبنان ، وجرجي زيدان ونقولا الحداد ومحمد فريد ابو حديد وطه حسين والسحار في مصر ، ومعروف الارناؤوط وعلي الطنطاوي في سوريا ، وسواهم كثير . ولا شك في ان جرجي زيدان قد كان له النصيب الاوفر في بعث صور ذلك الماضي الرائع بتلك السلسلة من الروايات التاريخية التي اطلق عليها « روايات الاسلام » والتي حببت الى القراء العرب تاريخهم وايقظت فخرهم واعتزازهم ، بالرغم مما قد تنطوي عليه من نزعات خاصة في فهم التاريخ وتقييمه ؛ ففيها امثلة نموذجية لجميع الصفات التي كانت الوجوه العربية الكبرى تتحلى بها . ولا بد للقاريء حين يطالع مثلاً قصص : « شارل وعبد الرحمن » و « صلاح الدين » و « عبد الرحمن الناصر » و « فتح الاندلس » ان يهفو الى تلك الامجاد العظيمة التي يزخر بها ماضيه ، فيكون له في ذلك عبرة وعزم على المشاركة في الانبعاث الجديد . وهكذا يكون جرجي زيدان وسواه من الروائيين التاريخيين قد اسهموا في تنمية الشعور القومي ، بان الحوا على فكرة « استمرار التاريخ » واوحوا ان بوسع الحاضر ان يكون هو الماضي الذي يتابع سيره ، وان اجدادنا يعودون فينا لحماً ودماً واحساساً وفكراً ، وينقلون الينا كل تراثهم .

ومظهر آخر من مظاهر هذه النزعة القومية لا يختلف عن المظهر الاول الا في انه اقرب الى تاريخنا الحديث ، اي انه اشد اتصالاً بواقعنا الراهن . ولا ريب في ان النتاج القصصي الذي يرتبط بهذا المظهر هو اثمن نتاج في ادبنا المعاصر ، لانه يعبر خير تعبير عن بدء العمل من اجل البعث الكبير ، فضلاً عن انه ينعم بكثير من مزايا النتاج الفني الذي ينشد الكمال في التقنية والاداء . ومن خير الاعمال في هذا الميدان آثار توفيق الحكيم ، ولا سيما « عودة الروح » و « عصفور من الشرق » . فالاولى هي قصة « الاسرة المصرية » التي ترمز الى شعب يستيقظ لحياة جديدة يريدها كريمة مجيدة كالسابق انها رواية بعث مصر التي تصور كيف استطاعت هذه الامة ان تحطم قيودها ، وتعطي صورة صادقة عن ذلك الشعب الذي يحمل دائماً عبر القرون روح مصر . والحق ان توفيق الحكيم اذ يصف الوسط الذي تهيأ فيه الصراع المصري ، انما يبرز اهم حادث وقع لمصر الجديدة ، ويقيم الدليل منذ الكتاب الاول على المهمة النبيلة التي تشغل الكاتب العربي قبل كل شيء . وكذلك القول في روايته الاخرى « عصفور من الشرق » التي تتناول المقارنة

في سلسلة نوابغ الفلسفة الغربية

دار مكتبة الحياة

تقدم الدكتور كمال يوسف الحاج في الجزء الثاني من كتابه الفلسفي القيم

هنري برغسون

الدعامة الكبرى في الفلسفة الاوروبية الحديثة

بين الروح الشرقية والروح الغربية -- ولو كان الشكل فيها ضعيفاً من الوجهة الفنية -- وتكرس النصر النهـــائي للشرق الروحي. وهذه هي النظرية التي يتضمنها الثر رئيسي آخر للقصاص المصري يحيى حقّي في قصته الطويلة « قنديل ام هاشم » . على ان الروائي السوري الدكتور شكيب الجابري قد عالج هذا الصراع بين الشرق والغرب في ضمير رجل واحد معالجة اعمق واحفل بالفن ، وذلك في روايته « قدر يلهـــو » و « قوس قزح » ، وموضوعها متشابه ، غير ان الذي يرويه في الاولى هو البطل ، وفي الثانية البطلة . انها قصة امرأة اجنبية توقظ شعور البطولة في روح رجل شرقي . وهكذا يكون الشرق الحديث مديناً ببعثه للغرب نفسه ، فبعد ان تسلم منه رسالة الحضارة والايمان في لقائها الأول بالقرون الوسطى سلمها اليه قبل ان يسقط من جديد ، وفي هذا ارهاص بان الشرق هو الذي سيقود العالم الآن .

غير ان الاثر القصصي الذي يسجل يقظة الشعور القومي العربي في عصر النهضة هذا خير تسجيل ، انما هو رواية « الرغيف » للقصاص اللبناني توفيق عواد . فهي تصور الجو الذي نشأت فيه الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ضد الاستعمار التركي ، وتنسج قصة تحليلية عاطفية بطلها ينتمي الى تلك الطبقة المفكرة الواعية التي كانت تلتمس في العمل القومي تبريراً لحياتها ولوضعها المعنوي . ان « سامي عاصم » بطل الرواية ليس الا واحداً من هؤلاء الابطال الذين اضطلعوا بمهمتهم وقاموا بنصيبهم في صراع العرب من اجل استقلالهم ورغيف خبزهم . وان القارىء ليستشرف من قراءة هذه القصة امكانيات الشبـــاب العربي الواعي : ان « الثورة العربية » لم تنته بعد ، وان الاستعمار لم يَزُل ، وان الاستقلال لم يتم ، وان الصراع ما برح قائماً . ان العرب لا يزالون في جميع بلدانهم يسعون وراء الرغيف ، وستظل رواية « الرغيف » نداء جميلاً للاستقلال ودعوة حارة للحرية . انها تسهم في خلق نموذج للبطل المثقف الذي يستطيع قبل اي انسان آخر ان يعمل على تحقيق الاماني القومية العربية .

ولئن كان سامي عاصم مجاهداً فكرياً ، فانه كذلك رجل شديد الحساسية . على ان حساسيته متوقفة على عاطفته القومية : ان حبه لزينة متصل أشدّ الاتصال بفكرة الثورة ، فهـــو يُغنيها ويغتني بها ، ويرتفع بذلك الى مرتبة البطولة والتضحية . لنقرأ مثلاً هذا المقطع الرائع الذي يصف فيه المؤلف نفسية سامي ، حين أقبل احد مواطنيه يحدّثه عن زينة حبيبته ، بعد اعلان الثورة :

« فمال سامي الى محدّثه ، واحسّ شعاعاً يضيء في قلبـه لاسم من يحبّ . وطفا هذا الشعاع ابتسامة على شفتيه ، فعاد ينظر الى السماء ، وأخذت صفحات حياته تكر امامه ... زاوية صغيرة ، هنا بين ضلوعه ، قد تستوعب الصحراء والدنيا وأمجادها ، وتبقى مع ذلك مستوحشة ، وشيء صغير قـــد يحطم كل ظلم على وجه الارض ، ويغيّب الظالمين في اعماقهـا ويظل مع ذلك متململاً غير راض ... وجه زينة .. « الثورة ! الثورة ! لو تعلمين يا زينة ما أجملها ! ما اعظمها ! ما اروعها ! » لو تعلم ما أتفهها الان ! ما أتفهها ، كالماء بلا خبز ، كالخـــبز بلا ماء ! » .

والمظهر الثالث الهـــامّ من مظاهر النزعة القومية في قصصنا الحديث ، هو تصوير فكرة « التعلق بالارض » ، في صور شتى تعبر عن هذا الشعور العميق في محبة الارض الخيّرة التي تربط الانسان بودها ، وتقرّبه الى جاره . وخير من عبر عن هذا الاحساس الادباء الذين يعنون بتصوير النزعة المحلية . فنحن نجد في مجموعات اقاصيص كثيرين منهم الواناً من هذه الصور

انتظروا قريباً

الفنـــــون

•

عدد ممتاز من « الآداب »

يضمّ دراســـات مستفيضة عن الرسم والنحت والموسيقى والتمثيل والسينما في البلاد العربيـــة والغرب .

من ابرزها اقاصيص محمود تيمور و مارون عبود وسعيد وخليل تقي الدين وفؤاد الشايب . وقد كتب القصاص العراقي ذو النون ايوب رواية جيّدة بعنوان « اليد والارض والماء » تصور تعلق فريق من الشبان الواعين بارض عزيزة يودون ان يستدروا خيراتها ، ولكن الظلم الاجتماعي يحول بينهم وبين تنفيذ مشروعهم الزراعي . ولا بد هنا ايضاً من ذكر رواية « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوي .

وقد اتخذ هذا الاحساس من التعلق بالارض شكلاً جديداً في السنوات الاخيرة كان لا بد من التعبير عنه في قصصنا الحديث ، اثر ضياع ارض عزيزة على قلب كل عربي هي ارض فلسطين . فان فقدان هذه الرقعة قد عزز الشعور القومي وفتح اعين العرب على شبح يتهدد ارضهم بالتمزيق والتقطيع ، فعمّق احساس كل عربي بانه انما فقد قطعة من ارضه هو ، وانه لا بد من استرجاعها ، حفاظاً على كرامته واستقلاله وحياته برمتها . ولقد كتب في معالجة هذا الموضوع عدد من ادباء الشباب في القصة ينتمون الى مختلف البلاد العربية . ولا بد من ان نلاحظ هنا ان كبار كتاب القصة ، ولا سيما الشيوخ منهم ، قد قصروا في تسجيل ما لهذا الحادث من اثر في نفوس العرب ، على الرغم من انه اكبر نكبة اصيبوا بها في تاريخهم الحديث .

***

هذه لمحة سريعة عن ابرز مظاهر النزعة القومية في قصتنا العربية الحديثة . ولا شك عندنا في ان قصصنا الجديد سيستغل في موضوعاته هذا الجانب من احساس الشعوب استغلالاً واسعاً عميقاً بعد الان ، لسبب بسيط ، هو أن الشعور القومي في نفوس الاجيال العربية الصاعدة يكثف ويعمق يوما بعد يوم ، استجابة للاماني التي تنشد التحرر من الاستعمار والاستقلال الذاتي والوحدة الكبرى . ولما كان الادب العربي الحديث قد اخذ منذ حين يماشي خط سير الحياة العربية ويصور مختلف تياراتها ، فلا بد له من ان يسجل بمختلف الوانه ومنها القصة ، هذه المظاهر الجديدة . وهو لن يكتفي بالتسجيل ، بل هو سيرسم خطوطاً جديدة تلتمس ابتداءً من الواقع مستقبلا افضل . وهكذا يضطلع الادب بمهمته الحقيقية التي ليست هي التسجيل الخام ، وانما هي النزوع والاستشراف ، وفي هذا وحده الضمانة الحقيقية لان تلحق قصتنا العربية الحديثة بركب الادب العالمي .

سهيل ادريس

روايات اليوم

السلسلة الروائية المفضلة

تقدم لقرائها

عدد العيد الممتاز

غادة الكاميليا

* قصة الكسندر دوماس (الابن) الخالدة
* الترجمة كاملة في ٢٠٠ صفحة
* غلاف ٥ ألوان
* الثمن ٧٥ قرشاً

توزيع المكتب التجاري – بيروت